الشرق اوسطية والشراكة المتوسطية

التطابق والتقاطع والافاق المستقبلية لموقع العراق في ماتين الدائرتين

الاستاذ الدكتور

ناظم عبد الواحد الجاسور

عميد كلية العلوم السياسية-الجامعة المستنصرية

المقدمة

في الوقت الذي خفت فيه بريق مشروع الشرق اوسطية وبدأ ينتقل من محطات وعواصم عربية وغربية لا تعير اهمية لما يطرحه من تصورات وافكار عارضتها حتى الدول الاوروبية وبعض الدول العربية وخصوصاً الخليجية التي امتنعت عن تمويل صندوقه الذي لا يهدف الا الى انعاش الاقتصاد الاسرائيلي، وان ادارة الرئيس بوش الاب التي كانت وراء هذا المشروع قد غادرت البيت الابيض وتوقفت مسارات التسوية السياسية التي بدأت في مدريد ١٩٩١، وعبر مفاوضات متعددة الاطراف في عواصم عدة، فقد خرج من مياه المتوسط مشروع اخر جديد بأبعاده السياسية والامنية والاقتصادية، واقتصر تجمعه على دول حوض البحر الابيض المتوسط اضافة الى الدول الاوروبية الاخرى الاعضاء في الاتحاد الاوروبي بهدف وأد المشروع الامريكي، وتأكيد حضور اوروبي فعال في سياسات المنطقة بعد ماستريخيت، ولاسيما وان بعض الدول الاوروبية الكبرى قد شعرت بالخسارة الكبيرة لمواقعها واسواقها التقليدية في الشمال الافريقي بالتحديد. واذا كانت الشراكة المتوسطية قد انطلقت من قمة برشلونة الاسبانية (في نهاية تشرين الاول ١٩٩٥) للدول المتشاطئة على ضفتي الاطلسي، وما يرتبط بالاتحاد الاوروبي من اعضاء خارج هذه المنطقة، فأن الشرق اوسطية بقيت تراوح مكانها متعثرة في خطواتها وقممها السنوية، ومما يؤكد من الجانب الاخر بأن هناك مسار جديد ارتسم في العلاقات العربية-الاوروبية بدلاً من المسار الذي اتخذته العلاقات العربية-الامريكية، وان كانت واشنطن في ادارة الرئيس بيل كلنتون انشغلت بأمور اخرى، وخصوصاً في وسط وشرق اوروبا ومشاكل الداخل الامريكية الخاصة. وقد عادت الشرق اوسطية من جديد في ظل ولاية جورج بوش الابن وبعد احتلال العراق، حيث استكملت الهيمنة الامريكية-الاطلسية على قوسي الازمات الشمالي والجنوبي وغدت المنطقة محكومة بقواعد عسكرية واستراتيجية

امريكية شاملة وفارضة قيمها ومعاييرها في المنظومة العالمية لحقوق الانسان وبناء الديمقراطية واجراء الاصلاحات السياسية وبالشكل الذي ينسجم مع متطلبات الوجود الامريكي في المنطقة.

فالاستجابة العربية لركوب قطار برشلونة رغم وجود مسافر مزعج (اسرائيل) في احدى عرباته، كانت استجابة سريعة ولم يمنع الدول العربية (ما عدا ليبيا) الثمانية من التفاعل الايجابي مع قمم الشراكة المتوسطية على امل تلبية طموحاتها السياسية وتقليل الاثار السلبية لعملية التوسع الاوروبي شرقاً، مما جعلها تحضر بانتظام اجتماعاته السنوية، واسماع الجانب الاوروبي هموم ومشاغل الامة العربية، ومحاولة التأثير على المواقف الاوروبية بشكل متوازن بصدد القضايا الخاصة بالمنطقة، وبالشكل الذي يجعلها مختلفة عن السياسات الامريكية التي حاولت توظيف الشرق اوسطية لدعم الكيان الصهيوني سياسياً واقتصادياً، بدون اعارة أي اهتمام لكل المطالب السياسية العربية.

وتأسيساً على ما تقدم، فان دراستنا سوف تنصب على القراءة السياسية للمشرعين من خلال منهجية مقارنة لتحديد التطابق والافتراق، ثم تحديد الافاق المستقبلية لهما وموقع العراق في الدائرتين، حيث غدا بعد الحرب محور الاستقطاب والتنافر بين المشروعين، او بين السياستين الاوروبية والامريكية، وخصوصاً ان لكل طرف رؤيته الخاصة في الاصلاح السياسي واعادة رسم المنطقة وعلى وفق مصالحه الاستراتيجية.

الشرق اوسطية رؤية امريكية للمنطقة ما بعد حرب الخليج الثانية:

في نهاية كل حرب تخرج منها المنطقة، هناك رؤية امريكية تتجسد في السياسة والامن والدفاع. فاذا كانت حرب الخليج الاولى افرزت تصورات وافكار غربية عما يطلق عليه "بأمن الخليج العربي" وما يستقر عليه من اسس ومرتكزات تختلف عما افرزته حرب ١٩٧٣، فان حرب الخليج الثانية قد فتحت الباب على مصراعيه لوجود غربي (امريكي بالتحديد)، مثل في القواعد العسكرية الارضية المنتشرة في حفر الباطن والكويت وقطر وبعض دول المنطقة الاخرى، اضافة الى حاملات الطائرات والبوارج الحربية التي تعوم على مياه الخليج والبحر الاحمر ومداخلهما، ناهيك عن الاسطول السادس في حوض المتوسط والاسطول الخامس في المحيط الهندي وبحر العرب. وبدون شك، فان هذه المنطقة التي استقرت الادبيات السياسية والاستراتيجية الغربية على تسميتها بالشرق الاوسط، ليس الهدف منها فقط شطب الهوية القومية للوطن العربي من الخارطة السياسية، واحلال هذه التسمية بدلاً منها، وانما امتداد مسرح العمليات العسكرية الامريكية على قوس الازمات الثاني الذي يمتد من الرباط حتى افغانستان مقابل قوس الازمات الاول الذي يمتد من وسط وشرق

اوربا الوسطى مروراً بالقوقاز واسيا الوسطى، حيث الثروات البترولية الهائلة ليلتقي مع خط الازمات الثاني وفي الاخير مطبقاً على المنطقة كلها، كما حدد هذه لاقواس زبيغنيو بريجنسكي الامن القومي في حكومة الرئيس كارتر[١].

وفي الواقع، اذا كانت مقولة الشرق الاوسط في ادبيات السياسة البريطانية والفرنسية تجسد بعض التعبير لجو-سياسة، استراتيجية وحملت مشاغل وحلول مخططات الدول الكبرى تجاه شرقها بالمعنى الجغرافي، ومن ضمن استراتيجياتها اقتسام مناطق نفوذ فان هذا التعبير اخذ يكتسي دلالات ومعان جديدة في ظل لظروف الدولية، والسياسات التي خلفتها تداعيات انهيار المعسكر الاشتراكي، واختفاء الاتحاد السوفيتي، والنتائج الكبيرة لحرب الخليج الثانية، والتي تمثلت في عقد مؤتمر مدريد عام ١٩٩١، ومن ثم التوصل الى اتفاقيات اوسلو، وما ترتب عليها من انحسار كبير في دور النظام الاقليمي العربي المتمثل في جامعة الدول العربية وتقويض اسس العمل العربي المشترك. وعلى ضوء هذه التداعيات، جاءت الافكار والتصورات الغربية للمنطقة راسمة حدودها، وتوجهاتها السياسية. اذ اشار المفكر والكاتب البريطاني الاصل برنارد لويس في ثقافته المشهورة "اعادة التفكير في الشرق الاوسط" موضحاً بان مفهوم الشرق الاوسط في الماضي قد توسع في جميع الاتجاهات فيما عدا الشمل حيث كان ينظر الى الاتحاد السوفيتي على اساس انه حده الشمالي، وبأختفاء هذا الحد، فان المساحة الجغرافية امتدت لتشمل جمهريات اسيا الوسطى الاسلامية[٢]. واذ يشير لويس بالتحديد الى ان الشرق الاوسط كونه ايضاً "موزائيك" من القوميات والاثنيات والاديان، وبما ان اسلامية العرب تمنعهم من اقامة دولة قومية عصرية علمانية تمارس قطيعة مع الاسلام وتاريخه، على غرار ما فعلت الدولة الكمالية، فان الشرق الاوسط ولاسيما في قسمه العربي، يصبح مكاناً لتعايش جماعات اثنية ودينية لا يمكن ان ينتظم التعايش فيها الا في اطار مصالح تديرها سلطة من خارج هذا المكان، او تضبطها سلطة رادعة من المكان نفسه، أي انه في النهاية يصل الى ان اسرائيل او الولايات المتحدة، هما القوتان القادرتان على ضبط ايقاعات هذه المنطقة من خلال "النظام الشرق اوسطي كأطار اقليمي" بدلاً من الانظمة الاقليمية او الفرعية[٣].

---

(١) ينظر بحثنا حول توسيع حلف الناتو شرقاً والاستراتيجية الامريكية، مجلة دراسات دولية، العدد١١ لسنة ٢٠٠١ مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد.

(٢) صراع القوى في اسيا الوسطى، مجلة قضايا دولية، اسلام اباد، العدد ٢١٣، في ٣١ كانون الثاني ١٩٩٤، ص٢٢.

(٣) وجيه كوثراني، بالشرق الاوسط والتطبيع الثقافي، مجلة دراسات فلسطينية، بيروت، العدد ١٩٩٥/٢٣، ص١١.

فهذا المدلول الجغرافي الواسع اختزل الى مدلول سياسي بحت يترتب عليه ادخال دول غير عربية في المنطقة، واخراج دول عربية ان امكن، اضافة الى اضفاء صفة التعدد والتنوع وليس الوحدة والتماثل[٤]، أي خليط من الاديان والقوميات التي تسهل تفتيتها وتجزئتها، من اجل السيطرة والهيمنة عليها وفقاً لما تطلبه استراتيجية القوة العظمى ومصالحها الحيوية ولاسيما في الوطن العربي الذي تحاول تمزيقه الى اجزاء ومناطق، ولا تعامله على انه وحدة متميزة، في الوقت الذي تدور حوله كل الافلاك "العربية"، ويجب ان يكون هذا القطب عنصراً فعالاً في تقرير ترتيباته الامنية ورسم فضاءاته الاقتصادية وسوقه الواسعة، وقد اعاد تأكيد ذلك مساعد وزير الدفاع الامريكي بول ولفويتز وقبل اشهر من شن الحرب على العراق، عندما قال: (ان الدولة العبرية هي حالة مركزية، بل انها الحالة المركزية الوحيدة في الشرق الاوسط، وحيال التفاعلات المحتملة في المنطقة يفترض من ان تكون دورها اكثر فاعلية واكثر وضوحاً في العقود اللاحقة)[٥].

وعلى هذا الاساس فان المشروع الشرق اوسطي يبدو في ظاهره "اقتصادي تنموي" الا ان جوهره يهدف الى رفض القومية العربية كفكرة وحركة سياسية نمت في الشعور الوجداني للانسان العربي، ويحطم كل ما تبقى من مقومات يمكن ان تشيد عليها مستقبلاً اسس الدولة العربية الواحدة، كما انه لا يعترف بوجود اقتصاد عربي او بنية اقتصادية، ناهيك عن انه ينسف من الاساس الاطار الاقليمي للنظام العربي المتمثل في جامعة الدول العربية.

ومن القراءة المتأنية للادبيات السياسية الامريكية والاسرائيلية يتضح انهما يغرفان من مصدر واحد في التفكير والاليات المحددة لهذا المشروع، وهذا ما كشفه شمعون بيرز في كتابه (الشرق الاوسط الجديد) الذي رسم معالم هذا النظام، وذلك بالعلاقات التعامدية بين دول المنطقة، اساسها الاقتصاد وحيث الدور الاساسي في ذلك هو ما يسند الى اسرائيل من دور كبير في الهيمنة والتفوق على دول المنطقة من خلال قيام (هيكل اقليمي منظم)[٦]. وفي الاطار نفسه، فقد حدد بيرز الامن الاقليمي للشرق الاوسط الجديد من خلال:

- نزع اسلحة التدمير الشامل في المنطقة.
- تفكيك هياكل القوة للدول العربية.
- فرض الرقابة وضبط التسلح.

---

(٤) جميل مطر، علي الدين هلال، النظام الاقليمي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٦، ص٢٩.

(٥) صحيفة الاتحاد الاماراتية ١١ تشرين الاول ٢٠٠٢، ص٢٧.

(٦) شمعون بيرز، الشرق الاوسط الجديد، اصدار دار الجليل، عمان ١٩٩٤، ص١٩٣.

- جمع المعلومات عن النشاطات لدول المنطقة، ويستثنى من كل ذلك اسرائيل على اعتبار ان الظروف المحيطة بها لا تسمح لها بـ"تفكيك اسلحتنا واعادة جنودنا الى بيوتهم"[٧].

وفي الاطار نفسه فقد سبق وان طرح شمعون بيرز في مقالة له نشرت تحت عنوان "ماذا بعد عاصفة الخليج، رؤية عالمية لمستقبل الشرق الاوسط"[٨]، لم يوضح فيه فقط مستقبل مدينة القدس التي يمكن تقسيمها الى شقين: سياسي وديني، حيث سياسيا تكون القدس اورشليم (عاصمة اسرائيل)، او دينيا مفتوحة لكل الاديان، وانما حاول طرح تصورات وصيغ لاشكال وانماط العلاقات الاقليمية بمختلف جوانبها، وابعادها: المحلية والاقليمية والدولية. اذ دعا مثل كل دعواته السابقة، وما حاول ان يطرحه الامريكيون انفسهم في جولاتهم الدبلوماسية في المنطقة الى اقامة:

- سوق شرق اوسطية مشتركة على اساس التكامل بين التكنولوجيا الاسرائيلية والمياه التركية والاموال الخليجية السعودية والعمالة المصرية.
- ان السلام في الشرق الاوسط يشكل اولاً وقبل كل شيء هندسة معمارية وتاريخية ضخمة لبناء شرق اوسط جديد متحرر من الصراعات ومستعد اخذ مكانه في العصر الجديد.
- المبادرة الى انتاج المياه وتوفير. فالماء والسلام يجب ان ينسابا معاً.
- انشا مجلس يضم وزراء الزراعة في كل دول المنطقة لكي يشرع في تخطيط حل مشكلة المياه وتزويد سكان المنطقة بالغذاء.
- ضرورة المساعدات الاوروبية الامريكية واليابانية[٩].

وفي الواقع، فان المشروع الشرق اوسطي الذي يمثل خلاصة التفكير الاستراتيجي لادارة الرئيس الامريكي السابق جورج بوش الاب في صياغة اليات "التعاون" او "الاندماج" بين دول المنطقة في اطار نظام اقليمي واسع، قد شخص بعض المرتكزات الاساسية التي من خلالها يمكن ان يشيد هذا المشروع، وهي:

- للولايات المتحدة وحدها القرار النهائي.
- تكثيف الوجود العسكري الامريكي في المنطقة من خلال احتلال دول المنطقة وتقويتها بمعسكرات ومطارات دائمة، اضافة الى تخصيص الموانئ المحددة للبوارج الحربية الامريكية.

---

(٧) المصدر نفسه، ص١٩٤.

(٨) شمعون بيرز، ماذا بعد عاصفة الخليج، رؤية عالمية لمستقبل الشرق الاوسط، جمعية الاهرام القاهرية ٩ كانون الثاني ١٩٩٢.

(٩) المصدر نفسه، ص١١٢.

- تطوير التعاون العسكري الثنائي بين الولايات المتحدة من طرف وحلفاؤها الجدد من طرف اخر.
- تعزيز التعاون المدني والامني، الاقتصادي والسياسي والثقافي بين دول الشرق الاوسط والولايات المتحدة.
- بناء منظومة اقليمية نسيجية من التعاون بين الشرق الاوسط كافة.
- فصل الشرق العربي عن مغربه، ورفض اي تكامل عربي، او أي التقاء اقليمي بين الدول العربية نفسها.
- احلال الهويات الفرعية: الطائفية، العرقية، الاثنية بدلاً من الهوية العربية القومية الحاضنة للامة العربية وشعبها[١٠].

وبهذا الصدد، يؤكد الاستاذ محمود عبد الفضيل بان المشروع الشرق اوسطي هو في الاساس صياغة اسرائيلية بدعم امريكي يهدف الى بناء نظام اقليمي تكون فيه المحور الرئيسي القيادي، وتكون بمثابة الوسيط المعتمد بين المراكز الراسمالية المتقدمة في الغرب واسيا من ناحية، وبلدان المشرق والخليج العربي من ناحية اخرى[١١]. فذا كانت هذه الهندسة المعمارية الجديدة للمنطقة تسعى في الاول والاخر لجعل اسرائيل (الدولة) الطبيعية في المنطقة، ومحورها الاساسي، فان الرؤية الاسرائيلية لمجمل ما خطط له (وما يعاد التأكيد عليه مرة اخرى بعد الحرب واحتلال العراق) هو:

- ☐ اقامة علاقات مشتركة وطبيعية بين اسرائيل والدول العربية.
- ☐ امكانية اسرائيل في اختراق المجتمعات العربة.
- ☐ الاقرار بشرعية الوجود الصهيوني على ارض فلسطين، وشطب التاريخ وتمزيق وثائقه، وكتبه المقدسة.
- ☐ تبقى اسرائيل (الدولة) القوية ولها الحق وحدها امتلاك اسلحة التدمير الشامل.
- ☐ الحصول على نصيب وافر من الثروة العربية، والسيطرة على آليات التنمية العربية ومداخل ومخارج وارداتها وصادراتها وحسابات ميزانها التجاري.
- ☐ السيطرة الاسرائيلية المباشرة على المياه العربية والتحكم بمصادرها.

---

(١٠) سيار الجميل، المجال الحيوي للشرق الاوسط ازاء النظام الدولي القادم، من مثلث الازمات الى مربع الازمات، تحديات مستقبلية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد ١٨٤، (٦) ١٩٩٤، ص٢٢.

(١١) ينظر محمود عبد الفضيل، الشرق اوسطية ومستقبل التعاون والتكامل الاقتصادي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ٢٢٠ (٦) ١٩٩٧، ص٨٨.

- اقامة حوض اقتصادي واسع يضع الدورة الاقتصادية والعربية تحت رحمة رؤوس الاموال الاسرائيلية والامريكية، ولا مجال لاي تعاون عربي-عربي.
- الغاء القدرة العربية كقوة يمكن ان تفرض على المنطقة نظاماً اقليمياً عربياً.
- منح الاقليات العرقية والطائفية والاثنية حق الانفصال والتكتل لتفتيت الامة العربية، وتغليب هذه الهويات الفرعية على الهوية المركزية العربية[١٢].

واذا كان الاستاذ غسان سلامة يرى في الابعاد السياسية للتحديات شرق اوسطية متجمسة في: الالحاق، والافتراق، الاختناق، الانسحاق والانشقاق في الجسم العربي المتشظي[١٣]، فان الاستاذ ناصيف حتي وضع ثلاث مشاهد امام مستقبل النظام العربي:

الاول: مزيد من الانهيار وغياب اية بلورة لسياسة الحد الادنى للنظام العربي، وبالتالي يصبح طرفاً متلقياً، وليس طرفاً فاعلاً في النظام الشرق الاوسطي الجديد.

الثاني: انتهاء النظام العربي في شكله الحالي وتفككه الى انظمة فرعية مندمجة في انظمة اقليمية تحتوي دولاً في المحيط العربي ودولاً من غير المحيط العربي، مع اقامة نظام شرق-اوسطي كإطار اوسع لتلك الانظمة الفرعية.

الثالث: اعادة احياء للنظام العربي عبر بلورة قيادة لهذا النظام تؤسس على بعض الاطراف الرئيسية الفاعلة[١٤].

سيتم مناقشة هذه السيناريوهات (المشاهد) الثلاث في النقطة الاخيرة من الدراسة، وكيف تجسمت بعد المشهد العراقي على اثر الاحتلال الامريكي.

الشراكة المتوسطية: مشروع بديل ام مسار متواز

اذا كانت هذه هي الصورة التي اطلت من خلالها الشرق الاوسطية، بكل تداعياتها، وتأثيرها على الامة العربية وكيف انتهت بعد اربع مؤتمرات كان اخرها مؤتمر الدوحة[١٥]، الذي عجز فيه المشاركون من الاتفاق على تحديد مكان عقد المؤتمر القادم فكان دليلاً واضحاً على التدهور السريع الذي اصاب الفكرة والمشروع من اساسه، فأن الاسئلة التي تطرح تشكل المحور الاساسي للاشكالية بحثنا وهي: هل ان الشراكة المتوسطية التي انطلقت بعدها في نهاية ١٩٩٥، تمثل مشروعاً اوروبياً

---

[١٢] ينظر كتابنا، الامة العربية ومشاريع التفتيت، الاهلية، عمان ١٩٩٨، ص٧٢-٧٤.

[١٣] غسان سلامة، افكار اولية عن السوق الاوسطية، نقلاً عن سيار الجميل، المجال الحيوي، مصدر سبق ذكره، ص٢٤.

[١٤] ناصيف حتي، النظام الاقليمي العربي.. الى اين، الهلال، شباط ١٩٩٤، ص٤١-٤٢، نقلاً عن ندوة التحديات الشرق اوسطية والوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٤، ص١٤٧.

[١٥] للمزيد من الاطلاع عن مؤتمر الدوحة ١٩٩٧، ينظر نيرمين السعدني، مؤتمر الدوحة الاقتصادي، مجلة السياسة الدولية، العدد١٣١، كانون الثاني ١٩٩٨.

بديلاً ام مسار متواز؟ وما هي نقاط التطابق والافتراق بين المشروعيين؟ وما هي الافاق المستقبلية للمنطقة بعد الحرب التي شنت ما اعقبها من احتلال امريكي للعراق؟

بدون شك، ان القراءة السياسية للمشروع المتوسطي تبين بأن هذا المشروع لم يكن الا احد اركان السياسة الاوروبية التي انطلقت بعد ماستريخت (شباط ١٩٩٢) وامتداداً للسياسات الاوروبية السابقة التي تبنتها المجموعة الاوروبية في اطار علاقاتها مع دول الجنوب، وتستند الى علاقات حضارية وتاريخية في حوض المتوسط بين جهاته كافة. ولكن، فان هذا المشروع بقدر ما يعبر عن رغبة الدول الاوروبية في تعزيز نفوذها مقابل النفوذ الامريكي المتعاظم بعد حرب الخليج الثانية، ومؤتمر مدريد. فهذا المسار الذي انطلق من برشلونة، حيث شكل محطته الرئيسية، فان سكة طريق طولية قطعها قبل ان يصل الى هذا المستوى من الانتظام في قممه السنوية والحضور المستمر لاعضاءه رغم الخلافات الناشبة بينهم.

في الواقع فان هذا المشروع، لم يكن الا منافسة للمشروعات الشرق-اوسطية، وابراز ادور الاوروبي الفعال في تقرير مستقبل المنطقة الحيوية للأمن الاوروبي، وخلق مجال كبير لنفوذ فرنسي في حوض المتوسط قد يعادل المجال الالماني في وسط وشرق اوروا، اضافة الى الادراك الاوروبي الجمعي بان المخاطر المحتملة التي تواجه حوض المتوسط لا يمكن مواجهتها بمفردها ضمن اطار الاتحاد الاوروبي، انما بشراكة فعالة مع دول الجنوب، الذي شخص في السنوات الاخيرة بانه مصدر الازمات، ولاسيما بعد اختفاء المواجهة ما بين الشرق والغرب.

وبدن شك، فان المجموعة الاوروبية راهنت منذ بروزها كقوة اقتصادية على ارساء سياسة اوروبية متوسطة قائمة على المصالح المشتركة بين الدول الاوروبية الغربية اولاً، ومن ثم بين ضفتي المتوسط وخصوصاً في الآمن والتعاون ثانياً. واستمرت هذه المراهنة سنيين طويلة وكانت تتقدم وتتراجع حسب الظروف الدولية ومتغيراتها، ومن بينها ان السوق الاوروبية لم تبلور سياسة متجانسة بصدد الصراع ما بين الشرق والغرب، وحتى التعاون بين ضفتي المتوسط حيث السياسات الانتقائية في التعامل، بسبب الارتباطات الاطلسية لقسم من دول المجموعة، والدفاع عن هذه الرابطة (المقدسة)، والمناهضة الواضحة التي ابدتها فرنسا الديغولية، وما زالت، ضد الهيمنة الامريكية. وما بين مسيرة الحوار العربي-الاوروبي منذ عام ١٩٧٣، وما تجسد في مؤتمر هلنسكي عام ١٩٧٥ للآمن والتعاون الاوروبي، مروراً بالمبادرات التي طرحت من هذا الجانب او ذاك[١٦]، وحتى قمة مؤتمر الاتحاد الاوروبي في لشبونة عام ١٩٩٢ بعد ثلاثة اشهر على معاهدة ماستريخت، التي اكدت على قرار

---

(١٦) عماد جواد، الامن والسلام في البحر المتوسط، مجلة السياسة الدولية، العدد ٩١ كانون الثاني ١٩٨٨، ص ص ٢٠٧-٢٠٨.

حظي بالاجماع من "ان الضفة الجنوبية والشرقية للبحر الابيض المتوسط منطقتان تنطويان على اهمية قصوى لمجموعة الاوروبية من حيث الأمن والاستقرار الاجتماعي)[١٧]. وبغية استكمال هذا المسعى فقد صادق المجلس الاوروبي على قرار الشراكة في الاجتماع الذي عده في مدينة آسن الالمانية في كانون الاول/ديسمبر ١٩٩٤، مؤكداً من "اسس الشراكة الجديدة بين دول معاهدة ماستريخت والبلدان المتوسطية الثالثة) تهدف الى اضافة استراتيجية تعاون سياسي واقتصادي شامل[١٨]، بين دول الاتحاد الاوروبي نفسها على سياسة موحدة، وثانياً، امكانية تفاهم الاتحاد مع دول الجنوب الاخر من المتوسط[١٩]. ولكن يبدو ان هذين الشرطين لا يمكن تحقيقهما بشكل كامل، ولاسيما ان التفاهم بين دول الاتحاد الاوروبي بعيد المنال وهذا ما اكدته احداث يوغسلافيا والمنافسة القوية بين دول الاتحاد نفسها حول الاسواق الخارجية، ناهيك عن ان دول المتوسط الجنوبية تمر بظروف صعبة نتيجة الحروب والصراعات التي لم تصل الى تسويتها بالطرق التي تؤدي الى الاستقرار السياسي الذي تبحث عنه الدول المتوسطية.

وفي حقيقة الامر، اذا كانت الشراكة الجديدة التي تمخضت عن مؤتمر برشلونة (٢٧-٢٨/تشرين الاول ١٩٩٥) خضعت لمفهوم ومنطق معاهدة ماستريخت وتوازن علاقة اوروبا مع المتوسط واوروبا الشرقية والوسطى، فان اهدافها تنحصر في ان تكون متركزة على الاستقرار والآمن والحريات والتنمية، ولاسيما وان اوروبا الغنية والمتطورة تنظر بتوجس كبير الى ما يجري في دول جنوب المتوسط وخصوصاً العربية منها التي تحتل مساحة واسعة من حوض المتوسط، اضافة الى امتدادها الشرق اوسطي، لذلك فان المجموعة الاوروبية بدولها التي تعددت الخمسة وعشرون دولة ادركت بانه لا آمن بدون استقرار سياسي مرتكز على تماسك اجتماعي ينعم بوضع اقتصادي جيد لكي تكون صورة المستقبل ايجابية وتعطي الشراكة ثمارها، وهذا ما طرحته المجلة الايطالية (الاسبكتيتور) في عددها الصادر في خريف عام ١٩٩٤ (حول الشراكة المقترحة بين المجموعة الاوروبية ودول البحر المتوسط الجنوبية الشرقية)، والذي اشارت فيه الى آن نقطة الضعف التي يتميز بها هذا الاقليم هي (حالات عدم الاستقرار التي كثيراً ما تسود هذا الاقليم بالذات.. والتي تتطلب

---

[١٧] الشاذلي العياري، افاق التكامل في البحر الابيض المتوسط، نشرة المنتدى، عمان العدد ١١٤، اذار/ مارس ١٩٩٥، ص٦.

[١٨] مصطفى البحياوي، المغاربة حريصون على تطوير التعاون، والاتحاد الاوروبي يطالب باستراتيجية واحدة، مجلة المجلة، بيروت، العدد ٧٧١، ٢٠-٢٦ تشرين الثاني ١٩٩٤، ص٥. وينظر كذلك الشاذلي العياري، مصدر سابق ذكره، ص٦.

[١٩] حوار مع الاستاذ غسان سلامة، صحيفة الدستور الاردنية، عمان، ٢ تموز ١٩٩٥، ص٢٧.

معالجتها قدراً اكبر من التعاون، والا فليس اسهل من ان تتحول المنطقة الى مصدر للاحتكاك والتنازع، ناهيك عن العداوة والاضرار بالأمن الدولي كله))[٢٠].

واكدت المجلة الايطالية على ان "الاوضاع الاقتصادية اللا متوازنة يضاف اليها عوامل سياسية واجتماعية وثقافية ودينية من شأنها إثارة انعكاسات على الأمن والاستقرار في حوض البحر المتوسط كله، ويبدو ان الحل لا يكمن في مجرد ان يكسب جانب من خسارة الجانب الاخر، ويضاعف من استدامة وتفاقم الازمة اضافة الى سياسات الحماية والضغوط الخارجية مما يجر الحكومات ناحية خيارات عدائية لانه ما من دولة تستطيع ان تحل منفردة ازمة اكبر منها تشمل هذا الاتساع والحجم الضخمة"[٢١].

وهذا هو بالتحديد ما دفع الاوروبيين الى عقد مؤتمر برشلونة، حيث احتل هاجس الامن والاستقرار صلب البيان الختامي الذي جاء فيه: يعبر المشاركون عن قناعتهم بان السلام والاستقرار والامن في منطقة البحر المتوسط تشكل مكسبا مشتركاً يتعهدون بتشجيعه وتوطيده بكل الوسائل التي في حوزتهم. من اجل هذا يوافق المشاركون على اجراء حوار سياسي مكثف ومنتظم يرتكز على احترام المبادئ الجوهرية للتعاون الدولي ويعاودون التاكيد على عدد من الاهداف المشتركة في مجال الاستقرار الداخلي والخارجي[٢٢].

ومما يلاحظ في اعلان برشلونة الذي اقرته الدول(٢٧ دولة) ممثلة بوزراء خارجيتها، انه استند الى ثلاثة مبادئ اساسية: سياسية، اجتماعية واقتصادية، حيث شغل الشق الامني والسياسي صلب المحادثات على مدى يومين متتالين، حيث الصعوبات الكبيرة التي نجمت عن الاختلاف بين وجهات النظر حول العديد من النقاط ولاسيما الارهاب، فيما الهدف كان مواجهة (التيار الاسلامي) بحد ذاته، وكذلك حق تقرير المصير، وخطر الانتشار النووي، وهي النقطة التي عارضتها اسرائيل، وكذلك وجهة النظر السورية التي كانت تؤكد على حق الدفاع عن النفس[٢٣].

في الواقع، فاذا كان للمجموعة الاوربية اهدافها العلنية من انعقاد مؤتمر برشلونة ومن بينها البحث عن دور اوروبا السياسي، وايجاد الحلول للمشاكل التي تواجهها من خلال شركاء جدد وان لتركيا ايضاً نواياها الخاصة في ذلك واقناع الاتحاد على حسن سلوكها، فان لاسرائيل اهدافها العلنية والسرية وهي بالتاكيد كانت الرابح

---

(٢٠) التعاون والاستقرار في البحر المتوسط، بنود هامة في الشراكة المقترحة، مجلة الاسبكتيتور الايطالية، نشرة المنتدى، عمان العدد ١١٤ اذار ١٩٩٤، ص ص ١٦-١٨.
(٢١) المصدر نفسه، ص١٧.
(٢٢) صحيفة بابل البغدادية في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٩٥، ص٣.
(٢٣) المصدر نفسه، ص٣.

الاول والاخير من تلك الشراكة، لان الدول العربية حضرت ولم تحصد غير الوعود. لقد كان مؤتمر برشلونة الطريق المفتوح امام اسرائيل للاندماج الطبيعي في المنطقة، بعد مؤتمر عمان الاقتصادي تشرين الاول١٩٩٥ وسبقه مؤتمر الدار البيضاء عام ١٩٩٤ حيث المشاريع التي لم تأت الا دعم الاقتصاد الاسرائيلي. لقد اشار الاستاذ جميل مطر في مقالته الى تلك المخاطر الجسيمة المتاتية من تلك المشاريع التي انهالت على المنطقة، وترتيباتها الاقتصادية والامنية كانت الشرق اوسطية، او المتوسطية، مؤكداً على ان كلا من هذه الترتيبات يقوم على (تجزئة العرب الى اجزاء اخرى جغرافية منفصلة ومتشابكة مع اجزاء اخرى من الاقتصاد العالمي... جزء كبير في الاقليم الشرق الاوسطي، وبعض هذا الجزء مع جزء اخر في الاقليم المتوسطي)[٢٤] ومن جانبه فان المفكر والباحث اللبناني خليل احمد، ذهب الى اتجاه المقارنة بين المشروعين، ويؤكد على التقاطع بينهما في نقطتين استراتيجيتين تحكمان سلوك الغرب العسكري والاقتصادي، وتوطدان علاقته المستديمة بالكيان الصهيوني على حساب العرب ومصالحهم:

- توسيع حلف الاطلسي شرقاً، ليشمل منطقة الشرق الاوسط من ضمنها المشرق العربي وتركيا وايران والكيان الصهيوني. هذا ما طرحه مستشار الامن القومي السابق بريجينسكي، تم الاشارة الى ذلك في الصفحات الماضية.
- تثبين النهب الاقتصادي الاستراتيجي لهذه المنطقة الغنية بالنفط من جهة والثروات المائية من جهة اخرى، وجعلها جزءاً من سوق اقتصادية راسمالية عالمية (هي اقطاعية جديدة) يسودها الراسمال اليهودي وغير اليهودي، ويكون فيها العرب والمسلمون هم الطرف الرسمالي الاضعف بعد استتراف مواردهم وثرواتهم في حروبهم الداخلية والحدودية[٢٥]. ثم يضيف بان (المتوسطية مشروع رديف مواز ومساعد لمشروع الشرق الاوسطية). والواقع في شراك احدهما سيجد نفسه حكما في شراك ثانيهما[٢٦].

لقد وصف الاستاذ برهان الدجاني اعلان برشلونة بانه (عبارة عن قارب صغير وسط انواء متلاطمة وعواصف مضطربة فالبحر الابيض المتوسط بحر هائج

---

(٢٤) جميل مطر، وثائق المنظومة الاقليمية الاعظم في الشرق الاوسط، صحيفة الحياة ١٠ كانون الاول، ذكر في محمود عبد الفضيل الشرق اوسطية ومستقبل التعاون، مصدر سبق ذكره، ص٩١.

(٢٥) خليل احمد خليل، المشرق العربي، بين المتوسطية والمشرق اوسطية، مجلة دراسات عربية، بيروت، العدد ٩-١٠اب ١٩٩٦، ص٤.

(٢٦) المصدر نفسه، ص٥.

فكلما تباعدت عاصفة مهيجة له ابتدعت عاصفة جديدة)[٢٧]. ومن هنا، فان حالة اللاتكافئ بين ضفتي المتوسط، وخصوصا العرب، وعدم تعامل الاتحاد الاوربي والتزامه بمعيار واحد في جميع الامور والعلاقات بين شطري المتوسط اضافة الى فرضه الشروط السياسية في تعاملاته التجارية ادى الى اتساع الفجوات بين الطرفين، وحولهم الى شركاء اباعد على الرغم من تقاربهم، ومواجهتهم لمشاكل مشتركة، في الوقت الذي شهدت فيه علاقات الاتحاد الاوروبي مع اسرائيل (علاقات شراكة وتعاون) متقدمة قياساً مع الدول العربية الاعضاء في هذه الشراكة[٢٨].

وفي الواقع، اذا كان البعض يرى في المشروع المتوسطي وانجذاب العرب بانه يمكن ان يسمى بتنويع الشركاء وهي الحالة التي تشهدها المرحلة الحالية في تاريخ العلاقات العربية مع القوى الدولية نتيجة للظروف الدولية والاقليمية وغدت بعض الدول العربية اكثر تفاعلاً مع المشروع الاوروبي المتوسطي على مشروع الولايات المتحدة واسرائيل الشرق الاوسط اوسطي[٢٩]، فان المشروعين يسعيان الى دمج اسرائيل في المنطقة، واحدهما يكمل الاخر في تنفيذ الستراتيجية الصهيونية وفي مساراتها المتعددة، وان انعكاسات ذلك لا بد وان تفضي الى:

- ان اية محاولة تطبيع العلاقات مع اسرائيل سوف لن تودي الا الى وضع الامة العربية في دوامة الاضطرابات والعنف والحرب الاهلية والطائفية .
- وتحت ذريعة مواجهة الارهاب لن يتم الا بتصفية القوى الوطنية والقومية التقدمية، واقامة نظم موغلة بالتبعية وتشويه الثقافة العربية الاسلامية من خلال غزو ثقافي مدروس عبر قنوات مختلفة لاحتواء المنطقة بصيغ جديدة من بينها الشراكة والتعاون وترتيبات اقليمية امنية وتقويض كل مقومات الامن القومي العربي وازالة مؤسسات العمل العربي.
- احكام ربط السوق العربية بالسوق العربية ، وتقويض كل المكتسبات التي حققتها الجماهير العربية على مدى السنين الماضية في بناء قطاع عام يلبي الحاجات الاساسية للشعب العربي.
- خلق علاقة اقتصادية ثلاثية الاضلاع ما بين اوروبا واسرائيل والعرب، الامر الذي يترتب عليه:

---

(٢٧) برهان الدجاني، النواحي الاقتصادية والمالية لاعلان برشلونة، مجلة اوراق اقتصادية، اصدار الامانة العامة للاتحاد لغرف التجارة والصناعة والزراعة للبلاد العربية، بيروت، العدد١٢، كانون الاول ١٩٩٦، ص٢٢.

(٢٨) انصات اذاعة مونت كارلو الساعة الثامنة ٢٠ تشرين الثاني ١٩٩٥.

(٢٩) عمادة قدورة، الاوروبيون والامريكيون في التوازنات العربية الراهنة، مجلة قضايا دولية، العدد ٣٧٠-٣ شباط ١٩٩٧، ص٣١.

- انهاء الحالة العدائية مع اسرائيل واقامة علاقات تجارية واقتصادية وثقافية وفي المجالات كافة.
- اعادة التكوين السياسي للمنطقة بحيث تكرس تفكيك الوطن العربي ومشرقه عن مغربه، والاسلامي عن العربي ويحدث مزيد من الطمس والتغيب للهوية العربية الى درجة يمكن ان نرى معها دول المغرب العربي تسير في-الفلك الاسرائيلي-الامريكي.

وعلى الرغم من ان قطار برشلونة استمر في مسيرته ومن خلال مؤتمراته السنوية التي انعقدت بانتظام (ويحضرها العرب بدون غياب او تحفظ) وفي محطات متعرجة في المدن الاوربية (٣٠)، اخرها في نابولي (كانون الاول٢٠٠٣) تحت ظل الرئاسة الايطالية، والتي شهدت انسحاب امين عام الجامعة العربية احتجاجاً على تصريحات رئيس الوزراء الايطالي برلسكوني، وامتناع سوريا ولبنان التوقيع على بيانها الختامي احتجاجاً على السياسة الاسرائيلية، فان الشواغل الاوربية مازالت شاخصة، حيث يقف على راسها موجات الهجرة السرية، والتطرف الاسلامي، ناهيك عن غياب الديمقراطية، وظواهر عدم الاستقرار في الضفة الجنوبية للمتوسط، وعدم ارساء حل عادل للقضية الفلسطينية بالشكل الذي ينهي حالة الصراع، ويجنب المنطقة مشاكل اضافية. وهذه هي بالتاكيد الملفات التي تنتقل من مؤتمر الى مؤتمر اخر، ماعدا التوصل الى بعض اتفاقيات الشراكة مع عدد من الدول العربية املتها ظروف الوضع الدولي والاقليمي.

العراق بين الدائرتين : الشرق اوسطية ام المتوسطية:

كثرت النقاشات حول الصيغة التي تركب منها المشروع المتوسطي، ولاسيما ان هناك بعض الدول الاوروبية لا تقع ضمن الدائرة المتوسطية، وليس لها اهتمامات سياسية بالمنطقة بقدر ماهي اعضاء في تنظيمات اقليمية. وهذا ما انسحب على اشتراك السويد والمانيا، ودول البينلوكس البعيدة عن المنطقة. الا ان هذا النقاش اغلق لكون هذه الدول اعضاء في الاتحاد الاوروبي، ومن الوزن السياسي والاقتصادي الذي يعتمد عليه في اطلاق قاطرة الشراكة، ومنطقة التجارة الحرة الموعودة لدول المنطقة. وقد طرحت بعض الافكار التي تبلورت في الاروقة السياسية الاوروبية والعربية بهدف اشراك العراق في هذه الشراكة المتوسطية، وذلك لما يتمتع به من علاقات اقتصادية وتجارية مع الاعضاء الرئيسين في الاتحاد الاوروبي، اضافة الى علاقاته السياسية والدبلوماسية المتطورة مع دول الحوض ولاسيما قبل حرب الخليج الثانية ولما يتوقع من عودة العراق الى وضعه الطبيعي بعد رفع الحصار. كما ان الافكار نفسها قد اعيد طرحها فيما يتعلق بانتماء العراق الى الشرق اوسطية بعد رحيل النظام السابق، وهي الفكرة التي ظهرت الى السطح بشكل واضح خلال الاعلان عن سياسة

الاحتواء المزدوج للعراق وايران من قبل مارتن انديك مسؤول الشرق الاوسط في مجلس الامن القومي السابق في حكومة كلنتون. واذا كانت هذه مجرد افكار فهل يمكنها الان ان تترجم الى فعل ملموس على ارض الواقع الجديد بعد الحرب والاحتلال الامريكي للعراق؟

يبدو بعد الان ان سقطت التفاحة العراقية في السلة الامريكية، من الصعب ان يكون للعراق مكاناً في الدائرة المتوسطية، او حتى علاقات اقتصادية وتجارية مع الاتحاد الاوروبي بذلك المستوى الذي كانت عليه سابقاً، الا ما عدا الدول التي ساهمت في المجهود العسكري الامريكي، وساندت القوات الامريكية في احتلال العراق ضمن (قوات التحالف) مثل بريطانيا واسبانيا وايطاليا وبقية الدول الاخرى في شرق اوروبا. وحتى هذه العلاقات سوف لاتكون باكثر ما تمن به اليد الامريكية من فتات على حلفاؤها. اما ما هو متوقع، فان العراق سيكون قلب الدائرة الشرق اوسطية الجديدة والذي من خلال دوره (السياسي والاقتصادي) سيتم اعادة رسم المنطقة، وبالشكل الذي يمكن فيه اقامة (الولايات المتحدة الشرق اوسطية) التي وضع هندستها الجو-سياسي مساعد وزير الدفاع الامريكي السابق بول ولفوويتز ومدير البنك الدولي حالياً عندما راى ان خريطة الشرق الاوسط هي خريطة اوروبية تعكس على الاقل النزاع الاستراتيجي المتقادم بين بريطانيا وفرنسا(*). الا ان الولايات المتحدة، وحسب افكاره، وهي التي ترسم الخرائط، ومن مفهوم مستقبلي محدد، مما يقتضي معه اعادة النظر بتلك الخريطة. ثم يضيف موضحاً الخطة الامريكية التي تقضي بتفكيك الدول العربية، مؤكداً على ان العرب مارسوا عقدهم التاريخية بمنتها السوء حيال الاقليات العرقية الدينية، وعلى هذا الاساس يفترض اعادة النظر بالدول بطريقة تركيبها وبطريقة بناء السلطة، لا مشكلة اذا تطلب الامر تفكيك دولة او ارساء صيغة فيدرالية او كونفدرالية في دول اخرى). وقد سبق وان طرح ولفوويتز فكرة قيام دولة كونفدرالية موسعة في الشرق الاوسط يكون مستوحي من تسمية الولايات المتحدة الامريكية، هل تكون الولايات المتحدة الشرق اوسطية ؟ اما اسرائيل فيرى ولفوويتز يجب ان تكون جزءاً عضوياً من تلك الكونفدرالية التي تربط فيما بينها باحكام دستورية بالغة الدقة بحيث تحفظ لكل ولاية شخصيتها العرقية او المذهبية، حتى هنري

(*) لقد كانت اوروبا من بين اكثر الاطراف الدولية معارضة لقرار تعيين بول جاكوب (ياكوف) ولفووتيز رئيساً جديداً للبنك الدولي، حيث مواقفه اليمينية المتطرفة وانعكاساتها السلبية على المؤسسة المالية الدولية، حيث انه كان من اخطر منظري العنف الامريكيين، والحرب على افغانستان والعراق، حيث حرض ادارة بوش الابن بشن الحرب على العراق بعد ساعات قلائل من هجمات ١١/سبتمبر، حيث الاسس التي وضعها للحرب الوقائية و"مكافحة الارهاب" من خلال اسقاط الانظمة "المارقة" ومحاصرتها.

كيسنجر قد اعلن صراحة (لماذا لاتكون اورشليم عاصمة الشرق الاوسط)[٣٠]. وتاكيداً لهذه، الطروحات الغربية، واستمرار لهذا النهج والمخطط المرسوم، فقد صرح وزير الدفاع الاسرائيلي شاوؤل موفاز ((بانه لا يوجد الا ن عالم عربي، بل شرق اوسط))[٣١].

ويبدو ان من بين الاهداف الاخرى التي سعت اليها واشنطن من عقد مؤتمر مدريد للدول المانحة لاعمار العراق (حيث اغلبية عقود الاعمار اعطيت الى الشركات الامريكية ذات رؤوس الاموال الاسرائيلية هو اعادة طرح من جديد مشروع الشرق اوسطية[٣٢]، ولكن بصيغة جديدة، اهمها خروج العراق كمصدر للتهديد الاستراتيجي لاسرائيل، وان احتلال العراق، كما افصح كولن باول بانه سيتيح للولايات المتحدة فرصة "اعادة ترتيب المنطقة بما يخدم مصالحها)[٣٣]. والسؤال الذي يطرح ماهي صيغة مشروع الشرق الاوسط الكبير الذي طرحته ادارة الرئيس بوش الابن من جديد في منتصف عام ٢٠٠٤؟ وهل هو نسخة معدلة من مشروع والده الذي انطلق بعد حرب الخليج الثانية؟ وما هي ردود الافعال الاوروبية تجاه هذا المشروع والتي كانت بالاساس معارضة للمشروع في صيغته الاولى؟ وما هي، دود الافعال العربية، وبالتحديد النظام الاقليمي العربي المتمثل في جامعة الدول العربية؟

في الواقع، ان المشروع الشرق الاوسط الكبير لم يأت بشيء جديد مختلف عن الاهداف والمبادئ التي سطرها المشروع الاول، ما عدا التأكيد على عبارات الاصلاح السياسي والتنمية والديمقراطية على وفق المتغيرات الجديدة بعد الحادي عشر من سبتمبر وتداعيات الحرب الاستباقية في افغانستان والعراق. وقد اثار الرئيس الامريكي بوش الابن في فترة رئاسته الثانية اهداف سياسة (اعادة رسم المنطقة) في خطاب الاتحاد في ٢٠ كانون الثاني ٢٠٠٤ في خطاب حالة الاتحاد مؤكداً بانه "طالما بقي الشرق الاوسط فريسة للاستبداد وفقدان الامل والعنف، فانه سيستمر في تفريغ الرجال والحركات التي تهدد امن الولايات المتحدة واصدقاؤها. ولذلك فان الولايات المتحدة ستتبع استراتيجية تحرير الشرق الاوسط. سنتحدى الاهداء بالاصلاح"[٣٤].

وان المحور الثاني في هذه الاستراتيجية ينصب في "تشييد مجتمعا من المعرفة"، حيث الاهداف المحددة: تخفيض الى النصف معدلات الامية من هنا حتى

---

(٣٠) صيحفة الاتحاد الاماراتية في ٣ تشرين الثاني ٢٠٠٢، ص٢٧.
(٣١) صحيفة الاتحاد الاماراتية في ٣٠ كانون الثاني ٢٠٠٤.
(٣٢) نادر فرجاني، احتلال العراق بين ادعاءات التحرير ومطامع الاستعمار، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٩٣، ٢٠٠٣، ص٥.
(٣٣) المصدر نفسه، ص١١.
(٣٤) Les objectifs definis par George Bush, Le monde 5 mars 2004, p.4.

٢٠١٠، تأهيل ١٠٠ الف معلم من هنا حتى ٢٠٠٨. اضافة الى الاجراءات الاخرى في "اعادة اصلاح التعليم في الشرق الاوسط"، و"تحرير القطاع الخاص" لمعالجة التأخر الاقتصادي من خلال رصد الاموال الكافية التي تقدر ما بين ٤٠٠-٥٠٠ مليون خلال خمس سنوات والمساعدة حوالي ١,٧ مليون شخص بينهم ٧٥٠ الف امرأة للخروج من حالة الفقر. ويبدو ان البنك الذي اقترحه المشروع الاول الذي يجب ان يمول باموال اوروبية وخليجية قد تم اعادة طرح تشكليه من جديد: بنك التنمية "للشرق الاوسط الكبير" على نموذج البنك الاوروبي لاعادة البناء والتنمية، يسمح بجمع الاموال من الدول الغنية في المنطقة ومجموعة الثماني. وبهدف معالجة الضعف في التجارة ما بين دول الاقليم (وخصوصاً ما بين اسرائيل وجيرانها)، يقترح المشروع الامريكي حلولاً عديدة، من بينها انشاء "منطقة التجارة" حيث تتمتع المنتجات بأحقية الوصول الحر الى اسواق دول مجموعة الثمانية[٣٥].

ومن قراءة ردود الافعال الدولية والاقليمية لهذا المشروع الامريكي، يتضح بأنها اكثر الردود انتقاداً جاءت من الضفة الاخرى من الاطلسي، حيث وصفه نيكول نيزوتي مديرة معهد الدراسات الاستراتيجية في الاتحاد الاوروبي بأنه جاء نتيجة للمشاكل التي تواجهها ادارة بوش ليس فقط في العراق، واكن ايضاً في علاقة الولايات المتحدة مع بقية العالم. "لقد كان من المفروض على جورج بوش ان يبحث عن افكار مقنعة من تلك التي أثارها في غزوة العراق. كان يجب عليه في سنته الانتخابية ان يصالح امريكا مع حلفاءها وكذلك مع التيارات المختلفة في اداراته.."[٣٦]. ويبدو ان ادارة بوش قد اعترفت لاول مرة بأن التخلف والفقر والتأخي الاقتصادي تمثل في مجملها الجذور الاساسية للارهاب وعدم الاستقرار السياسي. وهي الافكار التي طالما دافعت عنها باستمرار الدول الاوروبية، والتي اكدت على اكثر من ذلك من ان أي التزام بالاستقرار والمساعدة في الاصلاح في هذه المنطقة يجب ان ينطلق من التسوية الجذرية للصراع بالفلسطيني-الاسرائيلي، وان الشراكة المتوسطية التي انطلقت ايضاً من مسار برشلونة في عام ١٩٩٥ هدفها ارساء علاقات التعاون مع الضفة الاخرى من المتوسط، ومساعدتها في التطور الاقتصادي والاجتماعي الذي خصصت له مليارات من اليورو في الوقت الذي لم تقدم فيه الولايات المتحدة وهي تطرح مشروعها سوى ١٥٠ مليون دولار[٣٧]. وقد عبر الاوروبيون عن قلقهم من ان

---

(٣٥) Ibid.,

(٣٦) Claive Trean, Laure Zecchini, "Les Etats-unis lancent leur projet d'en "Grand Moyen-orient", Lemonade, 5 mars 2004, p.4.

(٣٧) Ibid.

الولايات المتحدة يمكن ان تجعل من المؤسسات الاوروبية هدفها لتقدم رؤيتها الجيوبوليتكية في منطقة الشرق الاوسط، وتطلب منا تمويل خططتها التكتيكية"(٣٨).

ومن يلاحظ عن المشروع الامريكي بانه يتخذ من المبادئ والاهداف التي سطرت في الشراكة المتوسطية وسيلة للتأكيد مرة اخرى على العلاقة مع دول المنطقة ولكن تحت العباءة الامريكية في ارساء الاصلاح السياسي، الذي كان من المفروض ان ينطلق من داخل دول المنطقة، على حد تعبير خافير سولانا منسق السياسة الخارجية والامنية الاوروبية.

وقد كان رد الفعل العربي مقتصراً في حدة انتقاده للمشروع الامريكي على وسائل الاعلام والاوساط الاكاديمية، والاحزاب السياسية في الوقت الذي لاذت فيه الانظمة بالتصريحات، على الرغم من ان الجماهير العربية تواقة الى التغيير والاصلاح السياسي وديمقراطية السلطة اكثر من الولايات المتحدة، الا ان طرح المشروع من قوة كانت الى الامس القريب، هي التي دعمت ورعت هذه الانظمة وعززت من سلطاتها الدكتاتورية والاستبدادية، ومدتها بكل وسائل القهر والتعذيب ضد شعوبها، فكيف بها الان تنقلب بين ليلة وضحاها لتطرح نفسها "رسول الديمقراطية والقيم العالمية لحقوق الانسان". واذا كانت بعض الاوساط الرسمية قد اعلنت عن عدم موافقتها على ما جاء في اهداف هذا المشروع فان الدكتور محمد سيد احمد في مركز الدراسات السياسية في الاهرام، قد اعلن بان تأييد مبادرة بوش يكشف عن انتماء سياسي" بالنسبة للانظمة العربية، حيث صرح وزير الخارجية المصري السابق احمد ماهر بأنه "لا ننتظر التوجيهات من أي شخص للقيام بالاصلاحات". وقد اعلن الامين العام لجامعة الدول العربية بان "تجاهل الملفات الساخنة مثل فلسطين والعراق تؤثر على الاستقرار في المنطقة. وفي بيان مشترك مصري-سعودي، اعلن على عدم موافقتهما على نموذج خاص للاصلاح بفرض من الخارج على الدول العربية والاسلامية"، مشدداً على ضرورة ايجاد الحلول العادلة للقضايا العربية والامة الاسلامية، وبشكل خاص للقضية الفلسطينية والعراقية"(٣٩).

وبعد الحرب على نفط العراق، وبقية نفوط المنطقة، ليس هناك من عوائق مالية تحول دون تنفيذ الادارة الامريكية لتنفيذ مشروع الشرق الاوسط طالما ان هناك من يمول هذا المشروع (وهو العراق)، تحت غطاء اعادة اعماره، ومن الصندوق العراقي الذي وعدت بعض الدول بالمساهمة فيه وهي نفسها الدول التي سبق وان رفضت تمويل "الشرق اوسطية" عندما طرحت في مطلع عقد التسعينات. وسيتم جمع

---

(٣٨) Ibid.

(٣٩) Sophie Shihab, "Les dirigeant arabes recusent les" recettes imposeses de lexrerier", lemonde, 5 mars, p.4.

اموال هذا الصندوق من خلال (تعهدات) على شكل مساعدات وقروض. كما ان العراق اضحى الباب المؤدية الى تغيير حاسم واعمق في خارطة المنطقة وتوزيع جديد لثرواتها البترولية وتركيبتها الاجتماعية، ومن خلاله سيتم رسم خارطة المبادرات النفطية الامريكية المستقبلية، حيث ما يأخذ في الحسبان هو ديمومة المصالح الاستراتيجية الحيوية لامريكا، وتأمينها من أي خطر محتمل في المنطقة، يستدعي اعادة رسم خريطة كيانية جديدة للعراق لا تقوم فيه دولة مركزية قوية، وتفصيل تلك الخريطة على مقياس اهلي عصبوي يمنع قيام نظام سياسي قوي على مقربة من آبار النفط واسرائيل[٤٠].

(٤٠) عبد الاله بلقزيز، المشروع الممتنع: في الغزوة الكولونيالية للعراق، مجلة المستقبل العربي العدد٥/٢٠٠٣، ص ص٥٢-٥٣.